خلاصة الشعر

خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

ماذا يُريد السقام من قمرٍ
كل جمالٍ لوجهه تَبَعُ؟
ما يرتجي خاب من محاسنها
اما له في القباح مُتّسعُ!
غيّر من لونها وصفّرها
فزِيدَ فيه الجمال والبدعُ

هذه الابيات لشاعر اسمه سحيم ولكنه لم يكن يعرف بهذا الاسم بل عرف بعبد بني الحسحاس. ويقال ان اسمه حَيّة ويروى انه كان عبدا اسود من غير العرب، لكنه كان من الشعراء المعروفين بجمال الشعر وعذوبته مع حلاوة ورقة في الصياغة.

تقول الرواية ان عامل عثمان بن عفان اشترى غلاماً حبشياً يقول الشعر فكتب الى الخليفة بهذا الامر فكان جواب الخليفة "لاحاجة لي اليه، فاردده، فانما حظ اهل العبد الشاعر منه، ان شبع ان يتشبب بنسائهم، وان جاع ان يهجوهم فردّه فاشتراه احد بني عبد الحسحاس.

ولقد صدق الخليفة في تقديره لما سيكون عليه امر هذا الشاعر، فبعد ان تمكن من الشعر وشاع خبره بين الاعاريب اخذ يتشبب بنساء مواليه فضلا عن كونه لم يكن من شعراء العفة حيث يدس في شعره ما يثير الغرائز كقوله

توسدني كفّا وتثني بمعصم
عليّ وتحوي رجلها من ورائيا

وقد سبق وذكرنا انه كان اسود وهو رغم سواده كان قبيحاً ولم يكن هذا الامر يخاف عليه وهو يعرف معنى هذا الامر عند العرب حيث يقول هاجيا نفسه حينما زار نساء الحارثيين

اتيت نساء الحارثيين غدوةً
بوجه يراه الله غير جميل
فشبهنني كلبا ولست بفوقه
ولا دونه ان كان غير قليل

ويبدو انه اكثر من التشبيب ببنات القوم حتى انه شبب بابنه سيده حتى انه قال حينما اجتمع عليه القوم ليقتلوه "يا اهل الماء ما فيكم امرأة الا اصبتها الا فلانه (ويقصد ابنة سيده) فاني على موعد منها".

فأخذوه فقتلوه وقيل انهم وضعوه في حفرة والقي عليه الحطب فاحرق. والله ان فعله هذا ليذكرني ببيت ابي الطيب المتنبي في هجاء كافور الاخشيدي

لاتشتري العبد الاّ والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيدُ

لسنا هنا في تحليل الحالة الاجتماعية والنفسية للشاعر لكننا امام شعر جميل ولا علاقة لنا بظروف القول الا اذا كنا سندرس هذه الظاهر دراسة تحليلية وعلمية.

فشاعرنا في الابيات المتقدمة يتغزل بحبيبته غزلاً تقليدياً خاصة في البيت الاول فهو يشبهها بالقمر وهذا شيء عادي جدا ان يشبه الشاعر حبيبة بالقمر ولكن سؤاله الجميل هو ماذا يريد السقام والمرض من حبيبته كالقمر؟ هذه الحبيبة التي يعتقد الشاعر ان كل الوجوه الجميلة تابعة لجمال وجهها فهي الاحلى والاجمل وهكذا يرى جميع المحبين ان وجوه صويحباتهم هي الاجمل.

وفي البيت الثاني يظهر السؤال وهو ماذا يريد هذا الحاسد الحاقد "ويقصد به السقام والمرض" من وجه هذه الحبيبة؟

ان الحالة النفسية والجسدية يظهر تأثيرهما على وجه كل انسان ويستطيع المقابل ان يتعرف على ما يعانيه الاخر فكيف إذا كان محبا؟ ثم ألا يجد هذا الحاسد الحاقد في وجوه القبيحات متسعا لتنفيذ حسده وحقده ليستقر عند هذه الحبيبة؟.

لكن هذا السقام والمرض مادرى انه جمّل الحبيبة حيث انه "صفرّها" ويقصد انها اصبحت في اللون اجمل من السابق فزادها جمالاً وابداعاً وربما اشار من بعيد الى انها اصبحت مدللة لانها لاتقوم باعمال النساء فتتعرض لاشعة الشمس التي تلون من يعملن تحت اشعتها بمزيد من السمرة.

هكذا هي عين المحب ترى الجمال حتى في المرض.

مقاربة نقدية لمجموعة قصصية لشاعر موصلي

جاسم خلف الياس يقرأ نقدا لمجموعة مع الإعتذار لألف ليلة وليلة

بهرا- سامر الياس سعيد

شهد مقر اتحاد أدباء وكتاب محافظة نينوى جلسة جديدة ضيف فيها الناقد جاسم خلف الياس ليقدم قراءة نقدية للمجموعة القصصية التي أصدرها القاص والشاعر الموصلي الدكتور وليد الصراف بعنوان "مع الاعتذار لألف ليلة وليلة" وفي بداية الجلسة قدم المحاضرَ الشاعرُ الدكتور احمد جار الله مشيرا الى ان المحاضرة تعالج إشكالية التجنيس التي وردت للمنجزات الأدبية التي تصدت لها المجموعة فيما عبر الناقد جاسم خلف الياس في مستهل محاضرته عن ما يجول في رؤية الناقد كأي قارىء يحاول كشف المهيمنات النصية التي استعان بها الكاتب، مشيرا الى ان كل مهيمنة احتواها النص المذكور يجب ان تخضع لوحدها لمحاضرة مفصلة وأضاف الياس ان المجموعة احتوت على ثلاثة أنواع من المتخيلات القصصية ومنها ما اختص بالقصة القصيرة جدا حيث كتب من تلك القصص قصة ماراثون وثلاث قصص تتشابه في عنواناتها وثمة تفاصيل تجمعه مثل غرفة نوم وبحر وغرفة نوم ورياح وغرفة نوم وهاتف واعتبر الناقد ان الإشكالية تكمن بالتباين الذي يتركه الموجه القراني والترميز القصصي وعمق القصص المؤثثة بالترميز وما تمتزج به تلك القصص من دلالات إيحائية وتلميحات واعتبر في سياق المحاضرة إن ما قرأه الناقد ليس مجموعة قصص ولكنه لا يتبع جنس الراوية فيما تقرأ بعض القصص بصورة مستقلة، لكن القاص يجسد بعض ذكرياته بأنواع وأفكار مختلفة فيما تلعب الفنتازيا ادوارا أخرى محورية في باقي مجموعة القصص بما تحتويه من موقع واحد يضم الأحداث أو غرفة نوم واحدة وذكريات محددة وشخصيات محورية، وهذه التقنيات توسع كل قصة على حدة وأضاف المحاضر ان القاص في اشتغالاته استطاع تطويع البناء الشعبي للقصة مستخدما آليات مهمة في هذا المجال وموظفا قسما آخر من تلك القصص في تقنية أخرى مختلفة وانتهى المحاضر في نهاية المحاضرة الى ان المجموعة القصصية لا تنتمي للقصة القصيرة بل الى القصة القصيرة جدا وقد استطاع القاص ان يبني متوالية قصصية كاملة مع الحفاظ على استقلالية النص ومحدثا ترميز مبنيا بمفهوم عال وبدأت سلسلة النقاشات التي افتتحها الدكتور عمار احمد مشيرا الى أن الراوية تعتمد على شخصيات رئيسية وهذا ذاته ما تفتقره المتوالية القصصية فيما بين الكاتب المسرحي بيات مرعي بان الوحدات التي تشكل حلقة القصص القصيرة يمكن ان تتجمع لتشكيل وحدات مشهدية تنتمي لجنس المسرح وعبر الشاعر عبد المنعم الامير عن وجود نماذج مقاربة لتلك الأعمال لكتاب عرب تبرز منهم اللبنانية غادة السمان في رواية كوابيس بيروت أما الشاعر عمر عناز فاختتم المشهد بسؤال عن خصوصية العنوان ومحاولة تكراره لدى الشاعر وليد الصراف في اكثر من عمل قصصي أو شعري.

جان دمو.. كما اعرفه

يونادم بينامين

في يوم معرض بغداد الدولي

كان ذلك عام 1977، فقلت لاغير اتجاهي في بغداد، هذه المرة فوصلت مرآب علاوي الحلة مشيا على الاقدام، وهناك رأيت "جان" وعلى الفور قال "هم زين (شفت لي) صديق" قلت الى اين قال لنذهب الى معرض بغداد. ونرى الاعاجيب، وعند دخولنا، المعرض، ولكثرة الازدحام، ابتعد عني جان فالتقيته ثانية، فقال اذا احدنا فقد زميله عليه الانتظار قرب هذه المظلة الكبيرة الجاثمة على ارض المعرض، اتفقنا، فقدت جان ثانية، ورحت اكمل بحثي هنا وهناك حتى دخلت الجناح الروسي، واذا جان امامي، كلما وزعوا مجموعة من المجلات فكان جان دمو يقف لها بالمرصاد، حتى استطاع ان يستحوذ على مجموعة لابأس بها من المجلات وقال لي لنخرج الى الشارع العام، كفى، لقد تعبت... وعند خروجنا من اخر باب واذا هناك شباب يرتدون بدلات جديدة ينتظرون الخارجين من المعرض، وبابتسامة رائعة يمدون ويأخذون فقط بالشباب "اعطونا" المجلات وهنا الطامة الكبرى عندما وصل جان وضع كل المجلات امامهم وهو مسرع في امره، وقال لي اعطيني سيكارة "هذا بلد ايش" حرية "وخبصة" ولكن على الطريقة الهزيلة وفي الباص هدأت من غضبه، وقلت من ورطك في هذا المعرض، البارحة قال احدهم سوف ينفتح هذا المعرض.. وفيه من المفاجآت. ولكن على طريقتهم المتاخرة، هؤلاء متاخرون، ودخلت المقهى وراح جان يتأمل سيكارته وهو صامت في مكانه، يرمق الداخلين بنظرات بليدة.. ولا يتحرك الاعندما يسقط الرماد على ركبته..

ثانية في المعرض القادم

قلت لنذهب الى المعرض، قال اذهب الى الجحيم ولا هذا المعرض، واصلنا السير في شارع الرشيد، وفي مكتبة "حسن ابن الجوادر" كما كان يسميه -جان- رحب بنا وقال احد اقربائي ولكن ليس بأديب من عيار "21" حبة ضحكت وقلت لماذا تقول هذا قال هذا صديقي حسن، كلما احتاج اذهب اليه، انتم تارة "موظفون مفلسون وتارة جنود محاربون" ولا اعرف متى تصبحون ادباء حقيقيين، قلت ياجان على مهلك، انت جلت من كركوك وهذه المسافة حتى بغداد ورحت تحصد النتائج قال هذا كلام معلم يكتب الانشاء للصغار، يا أخي الثقافة يجب ان تكون بعيدا عن الوظيفة لان الوظيفة مثل حمار اعرج تقودك الى منتصف الطريق، ثم تترجل وهنا الطامة الكبرى، عليك بالثقافة اما الوظيفة الحمد لله لم اوظف ولم ارتد قميصا ابيض ولا رباط الا عندما كنت ضيفا وانا في مقتبل العمر عند -عمي- الذي كان يسكن الشالجية ايام السكك الحديد.

وهنا دخل ثلاثة رجال، احدهم يتكلم بلغة ريفية واضحة وقال لصاحب المكتبة نحن لا نشتري الكتب، لدينا فقط سؤال نحن فلاحون وبحاجة الى مترجم كي نشتري من معرض بغداد الدولي- تراكتور صغير لحرث الكروم اي للاعناب.

فقال حسن "هذا الطلب كلش رخيص وسهل"

جان، ونادى باعلى صوته تعالى هنا، اذهب مع الجماعة وخذ الدسمة،

ابتسم جان،

ورحنا سوية الى معرض بغداد الدولي وترجم ماهي صفات ومزايا واين يستخدم هذا التراكتور وسلمها الى رئيس الجمعية الفلاحية لمنطقة...

ودس في جيبه مبلغا من المال وغادرنا ارض المعرض بالتاكسي الى شارع ابي نواس.

وبدأت الحفلة على طريقته الادبية.

كما اعرفه

بعد ان توطدت علاقاتي به، وراحت الايام تعلمني بأن هذا الاديب لاشغل له بالناس، فتراه يصادق كل من يصادفه من طبيب وشاعر وفلاح وعامل بناء، واصحاب المطاعم والمقاهي والحافلات وبائعي الحلوى والياناصيب، واصحاب المكتبات الصغيرة والكبيرة.

كان ديدنه الوحيد، ان يأكل هنا، ويحتسي الشاي في المقهى، لكن لاينسى اشياء يجب ان نذكرها، وقد فات الكثيرين، بأنه كان يشحذ الكؤوس من هذا وذاك، كي اوضح كما قال لي اتدري هؤلاء لي في بطونهم الكثير لقد سخرت كل طاقتي الادبية، كي اعلمهم، فن الترجمة وماهية الادب الحقيقي، وقد شرحت الكثير ولكن يجب على الاديب ان يعرف مقدار حجمه ولايغريه الناقد والكلام الجاهز المليء بالاطراء والمجاملات لان كولن ولسن لم يجتز المتوسطة لكنه اديب عالمي وانكليزي مشهور وهكذا "حنا مينا" يقول العالمية تأتي من القرية والزقاق، ولااريد ان اطيل، كان له اصدقاء "كثيرون -في كل مناسبة عندما التقيته يعرفني على مجموعة من الادباء، وبعد اعوام صار وزارة ثقافية متحركة -فصادقة، الرسام، النحات، الشاعر، القاص، الكاتب الروائي، الفنان، الممثل، المطرب، الموسيقار، المسرحي المخرج، وهكذا صار جان دمو حالة حضارية وثقافية في بغداد ومازال الكثير من الاصدقاء يكتبون عنه ولايمكن نسيانه.

لو سألنا -علي السوداني سوف يزودك بالمزيد وحسن النواب هذا الكربلائي الذي يعيش حاليا في استراليا له مقالات ومقالب عديدة، اما نصيف الناصري وجمال كريم، وزهير بردي، وخيون دواي الفهد، ورياض قاسم، وأمين جياد وخالد مطلك ومنذرعبد الحر ومجاميع اخرى تعرف عنه الخفايا والنوايا الحسنة المليئة بالادب الجم عن هذا الاديب الذي ودعنا، مثل الراهب، حاملا صليب الثقافة منذ ولادته في كركوك -وجماعتها الرائعة وفي بغداد الشعر والشعراء وحتى رحيله الابدي في استراليا المنفى.

مئات المقالات تأتي تترى من اجل هذا الكائن البسيط، الذي وضع قلبه وجسده في محراب الادب، ولا غير الادب فهو كالسيف يقطع ولايصدا فذكراه ابدا في الضمير والعقل الانساني لادباء اوفياء خلص يمجدونه لانه اعطى سمة وعطرا جديدا ونبضا كبيرا في مقاهي بغداد من شمالها حتى جنوبها وفي الاتحاد والمناسبات الثقافية كالمربد، والمتنبي ويوم القصة والشعر...

وفاء

نثرتُ على الطريق والوديان
هوى الحب عبقاً بعطر الورد
وعلى الجبال نقشت أسمك...
بكل الالوان وكتبتُ فيها الوعود
وعلى وجه القمر رسمت وجهك
وكل النجوم في السماءِ شهود
رميتُ تحت أقدامكِ حبي ووفائي
وكل ما لدي من صدقٍ وعهود...
اهديتك نور عيني فدى حبك
كي لاأرى امراة سواكِ في الوجود
كفى يا معذبتي..
تذيقني جفاء
وكلما اتيك..اري بابك الموصود
سامحيني
لكن حبي لك ليس فيه حدود
افتحي لي القلبَ لادخل فيه
فأنا لك عاشق
تحرري من خوفك
واسرحي في الدنيا ولا تخافي
القيود...
فما عدتُ قادراً ان اكتب
للسراب دونما ردود

ناظم هرمز جكو

جمود

هواجس

أنا هنا لوحدي
وكأني في نهاية العالم
وحبيبتي هناك
تكتب لي الرسائل..الواحدة
تلو الاخرى
بلغة الدمع
فتبعثها لي مع الريح
المسافرة نحو الشمال وحينَ
افتحها.
اشم منها رائحة الحزن
ولكن أريد ان أفرح
كما تفرح الوردة
في الربيع
كما تفرح العصافير وهي
تبني اعشاشها
اريد أن أغني
كما تغني البلابل على
الاغصان
لكن الاشجار من حولي
مازالت متجمدة
كما النبع..مازال متجمدا
في حينَ ان قلبي
مثل جذوة مشتعل
من جراء حبي لها

نهاية الكون

قصة قصيرة

حميد المحنه

سافر مع الريح الى نهاية العالم، عند حافة الكون وجد سورا شاهق الارتفاع يحميه من السقوط في هاوية الفضاء، تحت هذا السور دهليز مظلم ينتهي الى قبو واسع اشد ظلاما، تتوسط هذا الدهليز بركة ماء رائق زجاجي اللون، هناك فقط وجد احمد ماء الخلود. في البداية كان خائفا منبهرا بشعاع تلك الجوهرة المضيئة داخل البركة، حين تتعاكس انوارها يتحول ماء البركة الى قمر واسع المسافة، يشع من هناك لينير السماء من الارض. لم ير احمد قمرا ارضيا مثل هذا من قبل، ثمة ارض طينية قادته اليها قدماه، خطوات ثقيلة متشابكة ادت به الى الانزلاق في ماء تلك البركة رغم حذره الشديد، علمَ على سطح الماء الزجاجي الرائق، تتراقص الانوار المنبثقة من الجوهرة الى سطح البركة كلما تحرك جسده في الماء مكونة رذاذا يرتفع الى الاعلى فيشع منه نور قوسي ملون مثل قوس قزح بدايته في البركة و نهايته في الحافة الاخرى من الكون. ارتشف احمد جرعة صغيرة من الماء ، شعر بالم شديد في بطنه يمزق احشاءه ثم شمل الالم سائر جسده، علمَ ببطئ حتي وصل جرف البركة سحب جسده الى الحافة و استلقى على ظهره. شاهد من بعيد ماردا كبيرا يحمل عصا طويلة قادم اليه، حاول احمد الهرب ، تبعه المارد الكبير، صرخ المارد بصوت اهتزت له المغارة و دوت في الافق ترداداته ، فامعن احمد في الفرار لم يدرك احمد انه شرب من ماء الخلود بعد، ذلك الماء الذي طالما بحث عنه اسلافنا من قبل، امعن في فراره الا ان الطريق انتهي حيث نهاية الارض ، ليس هناك ارضا باقية ليواصل فراره، توقف لاهثا، و قبل ان يدركه ذلك المارد الكبير تسلق السور و القى بنفسه الى الجانب الاخر. كان الفضاء واسع المسافة بين نهاية الكون و البداية الاخرى. حين وصل احمد الى بداية الكون من الناحية الثانية من قوس النور المشع من البركة تبين له ان المسافة بين البداية و النهاية طويلة جدا، حين ارتطم بالارض و استفاق من غيبوبته ادرك انه وصل وانه قطع مسافة الف عام بين الحمل و المخاض الجديد. هناك استقبله السكان بريبة و دهشة كبيرتين، انه انسان له جلد سميك سقط من كوكب اخر ، كيف سقط ؟؟ كيف وصل الى هنا دون مركبة او سفينة؟ انسان له من العمر بين الحمل و المخاض الف عام ، اذن لابد ان ينزعوا عنه جلده السميك ، جلده السميك هذا سيشغل حيزا كبيرا من الفراغ و قد يتسبب في تلوث بيئة هذا الكون الشفاف. ربطوه الى دعامة من الزجاج و شرعوا يسلخون جلده ، نزف دما احمر، زادت دهشة الجميع ، صرخ احدهم بدهشة: دم احمر؟ من اين جاء هذا الانسان البدائي ذو الدم الاحمر؟؟ و حين فرغوا من سلخ جلده انتصب واقفا فوضعوا له جلده على كتفيه و قالوا له: امض فانت آمن في ديار دولتنا الان. مضى يحمل جلده على كتفيه يمشي و ينزف، يمشي و ينزف، يمشي و ينزف. قبل ايام احتفل بعيد ميلاده الالف ، كان يرقص و ينزف، يرقص و ينزف، يرقص و ينزف. مضى الف عام اخر و لايزال في شوارع البداية، يمشي و ينزف.

* موقع كتابات.

الميتافور الدلالي في اللغة الإبداعية

هشام آدم

اللغة -أي لغة- بحر واسع من المصطلحات والمعاني والدلالات القريبة والبعيدة. إن اختراع الإنسان للغة كان بدافع الحاجة للتعبير عن المدركات وغير المدركات. وعلى هذا فإن قولنا بأن لغة أفضل من أخرى هو قول غير صحيح على الإطلاق، إذ أن كل لغة تولد معتمدة على احتياجات الناطقين بها في كل المجالات.

وتطور اللغة بعيداً عن محور هذه الحاجة هو أمر طبيعي في نظري، فالطفل يحتاج إلى المشي كي يستطيع الوصول إلى الأشياء التي تشده، أو تغريه مجاراة الأطفال من حوله ليشاركهم في اللعب، فتبدأ الرغبة في محاولات تكوّن "الحركة" ابتداءً من الرفس إلى الزحف إلى الحبو إلى التهادي ثم المشي ثم الجري. والجري لم يكن في حد ذاته حاجة، إنما هو ترف حركي أو سلوكي للقادرين عليها، أو بالأصح لمن تجاوزوا المراحل السابقة، وهذا الترف ينشأ عن ميزة الإنسان في الاكتشاف والتجديد الدائب والمستمر، إنها الصيرورة التي ترهقنا دون توقف. والجري يغري بالقفز والتفنن في أداء بعض الحركات التي تشترط القدرة على أداء مهارات أساسية محددة مثل الوقوف والتوازن وغيرها.

وهكذا اللغة. بدأت بحاجة الى محاكاة أصوات الحيوانات والطيور والكائنات التي كان الإنسان الأول يشاهدها فيما حوله، ثم تطور الأمر إلى رغبة في التعبير، ثم رغبة ملحة في خلق التميز والتفرد، كما تتفرد كل الكائنات بأصوات متباينة ومتفاوتة ما بين الحدة والخشونة. والبحث عن "التميّز" هو ما يفسر لنا سعي الإنسان الدائم لخلق أدوات جديدة تأخذ فكرتها من الطبيعة، ويصبغ عليها الإنسان لمساته الخاصة، تماما كفكرة استخدام الحربة كبديل عن النياب والمخالب لدى الحيوانات، والانتقال من الأكل الأرضي إلى الأكل في أوعية، وفكرة تسخين اللحوم النية بعد اكتشاف النار والتي تعتبر ثورة ونقلة نوعية في حياة الإنسان عبر تاريخه والذي شهد ثورات ونقلات نوعية كبرى على مر العصور والأزمان كاكتشاف الزراعة.

عندما تمكن الإنسان من تكوين أول جملة صوتية مستفيدا من جهازه الصوتي الذي لم يكن مستغلا من قبل -أو ربما تطور هو الآخر بتطور الإنسان والبيئة المحيطة به، ومن نافلة القول أن الجهاز الصوتي للإنسان متطور أكثر من غيره من الكائنات الحيّة- نجد أنه بدأ في تركيب بعض الأصوات والترميز لها بما حوله، وهكذا حتى نشأت اللغة. ثم تطورت حتى أصبحت لغات ولهجات وألسنا، إذن فهي حركة تغيير وتطور مستمرة.

لوصول إلى نقطة الغرور المعرفي "الجري" هو ما يغري بالمزيد من الأداء، فإذا كانت اللغة سواءً المكتوبة أو المسموعة نتجت بدافع الحاجة عن التعبير، فلماذا جاء الترميز؟ عن أي شيء يبحث الإنسان من خلال اللغة المشفرة؟ وما هي دلالات هذا التشفير أو الاقتباس البيني؟

في رأيي أن النزوع إلى الترميز أو تشفير المعاني واستحداث مفردات جديدة في أي لغة ينشأ عند وجود معضلة ثقافية محددة هي ما تجعلنا نشعر بأن اللغة المستخدمة لا تستطيع خدمة المعاني بشكلها المطلوب تماماً، ورغم محاولات اللغويين إلا أن قطاعا كبيرا جدا من المُحدثين ينزعون دائما إلى استخدام غريب اللغة، وهذا التفسير -رغم سطحيته- إلا أن له دلالات كبيرة وهي واسعة الانتشار لدرجة ألا سبيل لحصرها..

وعلى عكس ذلك فإنني أفسر ظاهرة "التقهقر اللغوي" إلى عدم قدرة اللغة المستخدمة على إشباع غريزة تحديد المعنى من جهة، وإشباع ملكات الكاتب الذاتية من جهة أخرى، وهذا يفسر تلك الظاهرة التي دعت بعض الشعراء -مثلا- إلى اختيار غريب اللغة أو المدروس منها، ربما لأن اللغة هي "رختر" الحركة الاجتماعية والثقافية المتكونة من وعي الإنسان مرتبطاً ببيئته، أو ربما هي نزعة نحو الإنفرادية والتميز الذي يجعل الكاتب يستعرض قاموسه اللغوي كنوع من التعويض عن ملكات مفقودة له. وأنا هنا إنما أتكلم عن عصر تنزع فيه غالبية الكتاب إلى المجاراة، أي متابعة نمط الكتابة، إضافة إلى أن المفردة اللغوية ذات الدلالات المتعددة تساعد في الاستفادة من ملكة الخيال، لاسيما في أغراض التشبيه والصيغ البلاغية، إذ أن الحس التخيلي مرهون باللغة وبحيويتها.

وفي رأيي أن كل لغة "كائن حي" لا يعيش إلا في أوساطه التي نشأ فيها، ولا أعتبر عملية تطور اللغة إلا استكمالا لدورة حياة هذا الكائن الحي، يمر خلالها بأطوار نحو الكمال ثم الانحطاط بعد ذلك، تماما كما في بقية الكائنات الحية التي تصل في طور من أطوارها إلى قمة الاكتمال والنمو، ثم تبدأ بالانحدار إلى القاع وهو ما أسميه بشيخوخة اللغة، أي عندما تكون اللغة عاجزة عن القيام بوظيفتها الحيوية في التعبير عن المتخيّل والمستشعر والملموس.

كما يمكن أن نطلق عبارة "شيخوخة اللغة" على اللغة عندما تصبح عاجزة عن تطوير نفسها لمواكبة متطلبات المجتمع اللغوية، والمرتبطة هي الأخرى بنشاط البشر الاقتصادي والسياسي والثقافي والصناعي وأي نشاط بشري آخر، فكما أن الإنسان يطور أدواته في دورته التطورية التاريخية فلابد للغة أن تساير هذا التطور، هذا إن لم تكن اللغة قادرة على السبق أصلا.

كما أن القهر السياسي أحد أهم العوامل التي ساعدت على تكوين التيار الرمزي. والقهر السياسي الذي عرفه الإنسان على مختلف أطواره ومراحله التاريخية أثر -ليس فقط على اللغة وحسب- إنما على مستواه السلوكي أيضاً، وامتد حتى شمل رقعة واسعة من نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية والنشاطات الحيوية الأخرى، فالرمز المستخدم في الصراع ضد السلطة، وذلك الآخر المستخدم في التعبير عن أحلام قطاعات المستهلكين والمنتجين للغة كان النواة الأولى التي خلق هذا التيار الذي تطور أيضا تقادميا في الوسط المتخيل ليشمل جميع أنواع الفنون الأخرى، فالسريالية والتجريدية والتكعيبية هي إنما عدوى هذا الوباء السياسي، ربما أضيفت إليه بعض العوامل الأخرى التي لا تكاد تنفصل عنها والكامنة في رغبة الإنسان -كما قلت- إلى التغيير والتطوير والتميز والإبداع بلا شك.

للغة الإبداعية مستودعها الذي تُخزن فيه ما تشاء من سقط المعاني المبهمة، وهذا المستودع ما هو إلا وعينا الذي يرفض التصريح ويميل إلى الرمز على اعتباره بوابات للهروب من النقد والمساءلة، ولا أريد أن أقول أن الرمز القائم على الخيال هو أمر سيئ على الإطلاق، بل هو أفضل ما يكون -في إطار الكتابة الإبداعية- إن تم توظيفه في إطار أدبي وفني، على ألا تستهدف النخب فقط، فالتعاطي مع اللغة لا يمكن أبداً أن يتم من خلال مفهوم طبقي أبداً، إنما اللغة يجب أن تتحد مع الخيال، وتصاغ في رمز جيد حتى تحسن من مستوى فهمنا وقراءتنا للنصوص والأعمال الفنية، وإلا فليترك الناس الشعر والفن، ويلتفتوا إلى خطب المنابر وأحاديث المجالس.

* موقع ابسو.

همسة

اتمنى لو اراك ياجدي

آنور زهير زادوق

اتمنى لو اراك في منامي
وعندما ارى الاحلام
اتمنى ان انظر الى اجمل المناظر التي ترسمها
اتمنى لو كنت تحكي لي القصص الجميلة
اتمنى ان اعيش في احضانك التي
تملوني بالدفئ والحنان
فلا اريد الحرمان من نظراتك ومن فنك العظيم
ولا من صوتك الذي يشبه صوت الحمام الطائر
فأنت البسمة التي ابتسمها كل يوم
وانت المعزوفة التي اعزفها او اسمعها
انت الرسام والخطاط والنحات
يا آشوري ابن العراق ابن حرير وقلاته سور
لولا اسمك الصادق فلا اعيش
اذبل مثل الزهرة التي تذبل اوراقها
اتمنى ان تعود الى وطنك الحبيب
فهو يحتاج الى انسان متعلم مثلك
ياجدي العزيز
اتمنى الكثير فهل يمكن تحقيقه ؟